حكمة النحاة

جاء رجل يمتحن الخليل بن أحمد الفراهيدي بمسألة، فجعل يفكر ويطيل التفكير وأبطأ في الجواب، فأعجب الرجل بنفسه وقال للخليل متفاخراً متباهياً: لِمَ تكثرُ التأمل فليس في هذه المسألة من الصعوبة ما يستدعي إطالة النظر؟ فقال الخليل: لقد عرفت مسألتك وجوابها، وإنما أفكر في جواب أسرع لفهمك، فأبقيت نفسي بما قصدت إراحتك به، فخجل الرجل وانصرف.

وسأل ثعلب النحوي صديقاً له: هل الظبي معرفة أم نكرة؟ فقال: تسألني وأنت إمام النحو، فقال: إنما أريد جوابك، فقال: إن كان الظبي مشوياً على المائدة فهو معرفة، وإن كان نافراً في الصحراء فهو نكرة وأي نكرة!.

وقف على باب نحوي أحد الفقراء فقرعه فقال النحوي: من بالباب؟ فقال: سائل.

فقال النحوي: لينصرف.

obeikandl.com

فقال الفقير مستدركاً: اسمي أحمد وهو اسم لا ينصرف في النحو.

فقال النحوي لغلامه: أعط سيبويه كسرة.

ورأى أحد النحاة، رجلاً ضريرًا، يسأل الناس قائلاً: ضعيفًا مسكينًا فقيرًا ضريرًا، فقال له: يا هذا، علام نصبت ضعيفًا مسكينًا فقيرًا ضريرًا؟ فقال الرجل: بإضمار ارحموا، فأخرج النحوي كل النقود التي معه، فأعطاها للرجل الضرير لحسن ما سمعه.

كان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فمرض أبوه مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له: ندعو لك أخانا فلاناً النحوي؟

قال: لا، إن جاءني قتلني، فقالوا: نوصيه ألا يتكلم، فلما دخل عليه قال: يا أبت والله ما أشغلني عنك إلا فلان فإنه دعاني بالأمس فأهرس، وأعدس واستبزج، وسكبج، وطهبج، وأفرج، ودجج، وأبصل، وأمضر، واوذج وافلوزج. فصاح أبوه: غمضوني فقد سبق الشقي ملك الموت إلى قبض روحي.

ومر أبو علقمة بأعدال قد كتب عليها: رب سلم لأبو فلان، فقال لأصحابه: لا إله إلا الله! يلحنون ويربحون.

وقع نحوي في كنيف، فجاء كنّاس ليخرجه، فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا، فقال له النحوي: اطلب لي حبلاً دقيقاً وشدني

شداً وثيقاً واجذبني جذباً رفيقاً، فقال الكناس: امرأتي طالق إن أخرجتك منه، ثم تركه وانصرف.

عاد بعضهم نحوياً فقال: ما الذي تشكوه؟ قال: حمى جاسية نارها حامية منها الأعضاء واهية والعظام بالية فقال له: لا شافاك اللّه بعافية يا ليتها كانت القاضية.

روي أن رجلاً قصد سيبويه لينافسه في النحو فخرجت له جارية سيبويه، فسألها قائلاً: أين سيدك يا جارية؟ فأجابته بقولها: فاء إلى الفيء، فإن فاء إلى الفيء فاء. فقال: واللّه إن كانت هذه الجارية فماذا يكون سيدها ورجع.

عَمِلَ بعضُ النّحويين كتاباً في التّصغير، وأهداهُ إلى رئيس كان يختلفُ إليه، فَنَقص عطيتَه، فصنّف كتاباً في العطف، وأهدَاهُ إليه، وكتب معه: رأيتُ بابَ التصغير قد صغرني عِنْد الوزير، أرجُو أنْ يعطِفَهُ على بابُ العطفِ.

قال ابن الجوزي: لقي نحويٌّ رجلاً، وأراد الرجل أن يسأله عن أخيه، وخاف أن يلحن، فقال أخاك أخيك أخوك ها هنا؟!

فقال النحويُّ: لا لي لو ما حضر.

قدم على بن علقمة النحوي ابن أخ له فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات. قال: وما كانت علته؟ قال: ورمت قدميه. قال: قل: قدماه. قال: فارتفع الورم إلى ركبتاه قال: قل: ركبتيه. فقال: دعني يا عم، فما موت أبي بأشد علي من نحوك هذا.

دخل أحد النحويين السوق ليشتري حمارا فقال للبائع: أريد حماراً لا بالصغير المحتقر و لا بالكبير المشتهر، إن أقللت علفه صبر وإن أكثرت علفه شكر، لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بين السواري، إذا خلا في الطريق تدفق وإذا أكثر الزحام ترفق. فقال له البائع بعد أن نظر إليه ساعة: دعني إذا مسخ الله القاضي حماراً بعته لك.

قصد رجل الحجاج بن يوسف فأنشده:

أبا هشامٍ ببابك قد شم ريح كبابك

فقال: ويحك ! لم نصبت: أبا هشام؟

فقال: الكنية كنيتي، إن شئتُ رفعتها، وإن شئتُ نصبتها.

قال أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار: قال رجل لرجل: قد عرفت النحو إلا أني لا أعرف هذا الذي يقولون: أبو فلان وأبا فلان وأبي فلان؟!

obeikandi.com

فقال له: هذا أسهل الأشياء في النحو ...

إنما يقولون:

أبا فلان.. لمن عظم قدره.

وأبو فلان.. للمتوسطين.

وأبي فلان.. للرذلة.

قال الأصمعي : سمعت مولى لآل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أخذ عبد الملك بن مروان رجلاً كان يرى رأي شبيب الخارجي فقال له عبد الملك: ألست القائل؟

ومنا سويد والبطين وقعنب ومنا أميرُ المؤمنين شبيب

فقال الرجل لم أقل هكذا، وإنما قلت: ومنا أميرَ المؤمنين شبيب بنصب الراء على النداء المضاف. فكان تقديره ومنا يا أميرَ المؤمنين شبيب. فنفى يومئذ الخلافة عن شبيب الخارجي، والخبر مشهور، فاستحسن عبد الملك حضور ذهنه وحسن اعتذاره فأطلقه.

ذكر الشيخ محمدبن إبراهيم الحمد في شرح متن «قطر الندى وبل الصدى» قصة لطيفة وقعت بين أحد الأمراء، وكان اسمه داود وبين أئمة النحو في عصره، فكل من كلمه منهم أدخله السجن، وذلك بسبب عدم تمكنهم من إجابته جواباً مقنعاً عن سؤاله

obeikandi.com

المتمثل في قوله: لماذا يضرب زيد عمر دائماً؟ فكلهم قال: تمثيلاً فقط و جرياً على ما اعتدناه من مشايخنا، فلما دخل عليه آخرهم وكان شديد الذكاء وعلم أن مراد الأمير سجن الأئمة لا غير، وإنما أورد عليهم ذاك السؤال تعجيزاً لهم، فقال الإمام النحوي: أنا أجيبك لكن بشرط. فقال الأمير: شروطك منفذة بعد الجواب. فقال له الإمام النحوي: إننا نجعل عمر مضروباً دائما لأنه سرق حق غيره. فتعجب الأمير و قال: ما اللذي سرق؟ فقال الإمام: لقد سرق الواو من داود؛ فإن داود حقه أن يكتب بواوين؛ لأنها تنطق عند ذكره خلافاً لعمرو فإنه ينطق دون الواو ولكن يكتب بها فتعجب الأمير، و قال: ما طلبك؟ قال سراح أئمة النحو الذين في سجنك، فأطلق سراحهم ولهذا يقال إن النحوي لا يُخطئ لأنه يجد مخرجاً بتأويلاته.

وقد نظمها أحدهم قائلاً:

إنّمـا كـان ضـرب زيـد لعمرو ... في كلام النحاة نثرا ونظما
إن داودَ قـال يـا زيـدُ عمـرٌو ... أخذ الـواو مـن حـروفي ظلما
فاجتهد في خلاص حقي منه ... واضربنه على التمادي حتما

وسأل نحوي تلميذه - وكان التلميذ يومها مغموماً -: كيف الحال؟ فأجاب التلميذ: إن كانت الحال التي علمتنا فمنصوبة، أما حالي فمكسورة.

و في الغد سأله: يا تلميذ ألم تنتصب حالك بعد؟ فأجاب: هي

اليوم مرفوعة. -أي ذهب عنه الغم-، فقال النحوي: لم تعد بهذا حالاً. فأجاب التلميذ: بل هي حال جاءت جملة فعلية فعلها مضارع. فدهش النحوي وقال له: أنت اليوم أنحى مني والله.

وقيل: قَدَمَ العريان بن الهيثم على عبد الملك، فقيل له: تحفظ من مسلِمة فإنه يقول: لأن يلقمني رجل بحجر أحب علي من أن يسمعني رجل لحناً، فأتاه العريان ذات يوم فسلم عليه. فقال له مسلمة: كم عطاءك؟ قال: ألفين. فنظر إلى رجل عنده وقال له: لحن العراقي، فلم يفهم الرجل عن مسلمة، فأعاد مسلمة القول على العريان وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان. فقال: ما الذي دعاك إلى اللحن أولاً والإعراب ثانياً؟ قال: لحن الأمير فكرهت أن أعرب، وأعرب فأعربت. فاستحسن قوله وزاد في عطائه .

obeikandl.com